# براهين معرفة الله تعالى عند الشيخ ناصر مكارم الشيرازي– دراسة موضوعيّة

م. عامر ضاحي سلمان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية/ قسم التربية الإسلامية

# Divine justice when Sheikh Nasser Makarem Alcherazi- objective study

**Assistant Lecturer: Amer Dhahi Salman**

**Al-Mustansiriya University / College of Basic Education / Department of Islamic Education**

aa112233er@gmail.com

## Abstract:

In our research season (Divine justice when Sheikh Nasser Makarem Alcherazi- objective) It shows the following:

Explanation of the proof of systems, and the two introductions (small and large), leading to the result, which is: The world is made by a capable organization.

Then we mentioned the proof of change and movement in proving the existence of God by proving that the world is in a permanent (process) state not (being), and this is not only in the symptoms but is rooted in the depths of itself, and therefore it needs the principle constantly in order to create it at all times.

Then we demonstrated the evidence of obligation and possibility (wealth and poverty), and the existence of possibilities and accidents in the world must end with an eternal duty that we call (God).

Finally, we mentioned that the world needs to find a duty to exist, i.e. one that is not in need of its existence to another cause, and its existence does not depend on the presence of others, and we have demonstrated the authenticity of that from the Holy Qur'an.

Then sealed search a conclusion outlined the most important outcomes of the research.

**Key words:** Proof, God's Presence, Systems, Change and Movement, Obligation and Possibility, Wealth and Poverty.

## ملخص البحث:

في بحثنا الموسوم (**براهين معرفة الله تعالى عند الشيخ ناصر مكارم الشيرازي– دراسة موضوعية**) بيّنا فيه ما يأتي:

بيان برهان النظم، وما يتضمنه من مقدمتين(صغرى وكبرى)، وصولاً الى النتيجة وهي: العالم من صنع منظم قدير.

ثم ذكرنا برهان التغير والحركة في إثبات وجود الله من خلال إثبات إن العالم في حال (صيرورة) دائمة لا (كينونة)، وليس ذلك في الأعراض فحسب بل هو متأصّل في أعماق ذاته، ولذا يكون محتاجاً إلى المبدأ باستمرار لكي يخلقه في كلّ آن.

ثم بينا برهان الوجوب والإمكانية (الغنى والفقر)، وإن وجود الممكنات والحوادث في العالم لابدّ أن ينتهي بوجود واجب أزلي نسمّيه (الله) سبحانه وتعالى.

وأخيراً ذكرنا أن العالم بحاجة إلى موجِد واجب الوجود، أي: موجد غير محتاج في وجوده إلى علّة أخرى، ولا يتوقّف وجوده على وجود غيره، وقد بينا مصاديق ذلك من القرآن الكريم.

ثم ختمتُ مدوَّنتي بخاتمة أجملتُ فيها أهمَّ النتائج التي تمخّض عنها البحث.

**الكلمات المفتاحية:** برهان، وجود الله، النظم، التغيير والحركة، الوجوب والإمكانية، الغنى والفقر.

## المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد النبيين، وآله الهداة المهديّين، وصحبه المنتجبين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد:

إنّ الطرق إلى معرفة الله تعالى لا حدود لها، إذ يقول بعض العلماء: "الطرق إلى الله بعدد نفوس الخلائق"، أي أنّ كل نفس يتنفّسه الإنسان هو طريق إلى معرفة الله عز وجل، وقد ارتأيت أن أوسمَ بحثي هذا بـ**(براهين معرفة الله تعالى عند الشيخ ناصر مكارم الشيرازي[813]– دراسة موضوعية)**؛ إذ اقتصر الشيرازي في ذكر ستة براهين على معرفة الله تعالى، خمسة من تلك البراهين عقلية وهي: " بُرهَان النظم، وبرهان التغيّر والحركة، وبرهان الوجوب والإمكان، برهان العلة والمعلول، برهان الصديقين" أما البرهان السادس فهو الطريق الباطني لمعرفة الله تعالى (الفطرة)، وهذه البراهين جميعها استند إليها القرآن الكريم، ويحاول الباحث أن يقتصر على قسم من هذه البراهين لتجنب الإطالة فيها، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، ثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول فخصصته لبيان برهان النظم، وما يتضمنه من مقدمتين(صغرى وكبرى)، وصولاً الى النتيجة وهي: العالم من صنع منظم قدير.

أمّا المبحث الثاني فقد جاء لبيان برهان التغير والحركة في إثبات وجود الله من خلال إثبات إن العالم في حال (صيرورة) دائمة لا (كينونة)، وليس ذلك في الأعراض فحسب بل هو متأصّل في أعماق ذاته، ولذا يكون محتاجاً إلى المبدأ باستمرار لكي يخلقه في كلّ آن.

أمّا المبحث الثالث فتناولت فيه برهان الوجوب والإمكانية (الغنى والفقر)، وإن وجود الممكنات والحوادث في العالم لابدّ أن ينتهي بوجود واجب أزلي نسمّيه (الله) سبحانه وتعالى.

ثم ختمتُ بحثي بخاتمة أجملتُ فيها أهمَّ النتائج التي تمخّض عنها البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

## المبحث الأول: برهان النظم

إن البراهين الدالة على وجود خالق لهذا الكون، ومبدع لهذه الحياة كثيرة ومتعددة، ويعد برهان النظم أوضحها وأقربها إلى الحس والتجربة، فهو يتجاوب مع العقول جميعها على اختلاف سطوح تفكيرها.

---

(813) هو الشيخ "ناصر بن محمّد علي بن محمّد كريم بن محّمد باقر مكارم الشيرازي، أحد المراجع الشيعية في إيران، وسمي بالشيرازي نسبة إلى مدينة شيراز جنوب إيران موطن أسرته وأجداده، ولد الشيرازي سنة (1345هـ–1924م)، في مدينة شيراز في جنوب إيران، من أسرة متديّنة تتحلى بمكارم الأخلاق، وتعرف بالفضيلة.

ولأن البحث موضع إجمال لم أتعرض لسيرة حياة الشيرازي، فضلاً عن تناول الباحث ترجمة حياة الشيرازي وسيرته العلمية في رسالته الموسومة "مباحث العقيدة في تفسير نفحات القرآن لآية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي/دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية، 2012م: ص(7–21)"، وللاستزادة أكثر الرجوع إلى المصادر الآتية:"

ـ فمن المراجع يُنظر: القدسي، أحمد، "السيرة المباركة لسماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي"،مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم، ط1، 1424هـ .

. ومن الدراسات الجامعية يُنظر: الربيعي، فاطمة حسين، "المثل الاخلاقي في تفسير نفحات القرآن، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي(دراسة موضوعية)"، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية، 2012م ؛ التميمي، هناء هاشم، "المسائل العقائدية في سورة هود في تفسير الامثل واهميتها التربوية"، رسالة ماجستير،(غير منشورة)، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، 2012م.

وقد أشار الشيرازي إلى ذلك بقوله: "إنّ أوسع برهان اعتمد عليه القرآن الكريم في آياته وسوره في إثبات «معرفة الله» هو «برهان النظم» على نحو غطى هذا البرهان على البراهين التي وردت في القرآن الكريم كافة، وهذا يدل على أنّ أفضل طريق وأوضحه لمعرفة الله وتنزيهه من ألوان الشرك كافة من وجهة نظر هذا الكتاب السماوي العظيم هو البحث في نظام الخلقية وأسرار الوجود وآيات الآفاق والأنفس".(814)

ويتألف برهان النظم الذي بيّنه الشيرازي في تفسيره من المقدمتين الآتيتين:

المقدمة الأولى (الصغرى): العالم يسوده النظام المتقن.

المقدمة الثانية (الكبرى): وكل ما يسوده النظام المتقن فهو من صنع منظم عالم قادر عظيم.

النتيجة: العالم من صنع منظم قدير.(815)

ويمكن إثبات المقدمتين (الصغرى والكبرى) من خلال إثبات المقدمة الثانية (الكبرى)، وإيضاح هذه المقدمة يعتمد على توضيح العلاقة بين النظام والعلم، وقد بيّن الشيرازي تلك العلاقة من خلال استدلاله بأدلة تثبت هذه العلاقة بينهما، هي ما يأتي:

أ- الوجدان: مع أننا لم نر الكثير من العلماء الكبار والمخترعين والفنانين المهرة، ولم يبق منهم سوى الآثار، إلاّ أنّنا حين ننظر إلى تلك الآثار والكتب والصناعات واللوحات النفيسة والأبنية البديعة، نعترف بدون الحاجة إلى دليل بعقلهم وذوقهم وعلمهم ومهارتهم الصناعية والفنية.(816)

ب- المنطقي: من أجل إحداث بناية منظمة وإظهارها إلى الوجود يجب أن يكون هناك اختيار في سبع مراحل على الأقل:

أولها: نوعية المواد المستعملة.

ثانيها: مقدار وكميَّة المواد.

ثالثها: جودة المواد.

رابعها: الأشكال والأحجام المختلفة.

خامسها: إيجاد الانسجام بين الأجزاء.

سادسها: إيجاد التناسب بينها.

سابعها: وضع كل من الأجزاء في مكانه المناسب.

وهذه الاختيارات السبعة يجب أن تتمّ كل واحدة منها وفقاً للعلم والإطلاع والحساب، وأحياناً الحسابات الدقيقة جداً، ومن هنا عندما نرى مثل هذه البناية نتيقن أن صانعها بلا شك كان يملك العلم والمعرفة والإطلاع الواسع.(817)

ت- يمكن إثبات علاقة النظام والعلم عن طريق البرهان الرياضي (حساب الاحتمالات) الذي ندركه بنحو إجمالي في حياتنا والذي يبيّن بوضوح علاقة النظام والعلم بياناً رياضياً واضحاً، ومثاله: لا نصدق أبداً أنّ إنساناً أمياً يستطيع عن طريق الصدفة أن يؤلف كتاباً في مجال «الفلسفة» مثلاً أو «الآداب والشعر» أو «الطب»، بمعنى أن نعطيه آلة طابعة فيبدأ دون أن يعرف الحروف بالضغط على أزرار الآلة ليطبع كتاباً. وليس من المستحيل كتابة كتاب علمي عن طريق الصدفة فحسب، بل لا يمكن كتابة حتى رسالة قصيرة أيضاً؛ لأنّه لو افترضنا أن حروف الآلة الطابعة ثلاثون حرفاً فقط، (وهي بالطبع أكثر بكثير، لأنّ لبعض

(814) الشيرازي، ناصر مكارم، "نفحات القران"، دار جواد الأئمة (عليه السلام) للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1431هـ 2010م، 39/2.
ويُنظر: السبحاني، جعفر، "الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل"، الدار الإسلامية، ط1، 1410هـ-1989م، ص31.

(815) يُنظر: نفحات القرآن، 2/(40-41).

(816) يُنظر: المصدر نفسه، 41/2.

(817) يُنظر: المصدر نفسه، 2/(41-42).

الحروف أشكالاً عدة، فمثلاً حرف الباء الأولية والباء الوسطية والباء النهائية والباء المفردة تشكل أربعة أشكال مختلفة لحرف الباء) يقول حساب الاحتمالات هنا: إنّ الظهور التصادفي لكلمة «من» المكونة من حرفين هو احتمال واحد من تسعمائة احتمال. ( 1/30 × 1/30 = 1/900 ).

واحتمال ظهور كلمة مكونة من ثلاثة أحرف هو احتمال واحد من 27 ألف احتمال، وحين نصل إلى كلمة مكونة من خمسة أحرف سوف نجتاز حدود 21 مليوناً!!.

والآن إذا كانت الحروف الموجودة في رسالة قصيرة هي مائة حرف فإنّ مجموعة احتمالات هذه الأحرف هي العدد 30 مرفوعاً إلى الأُس 100 إذ إن رسالتنا المعينة تشكل احتمالاً واحداً من هذا العدد الهائل من الاحتمالات، أي عدداً كسرياً بسطه واحد ومقامه العدد 3 إلى يمينه مائة صفر، فإنّ مقام هذا الكسر لا يمكن حسابه، ولا شيء في هذا العالم يصل إلى ضخامة هذا العدد، فيكفي أن نعلم أننا لو قطرنا المحيطات جميعها على الكرة الأرضية قطرة قطرة وحسبنا عددها لكان عددها أقل من عدد على يمينه واحد وعشرون صفراً فقط. على هذا الحساب لو حسبنا كتاباً مكوناً من ألف صفحة فإنّ عدد الاحتمالات سيتضخم إلى درجة أنّ الاحتمال التصادفي لعدده الكسري (البسط) يتساوى مع الصفر أي أنّه مستحيل.

فالعلماء _ بمطالعة الآثار التي يعثرون عليها بوساطة الحفريات أو التي يكتشفونها في قبور الأقوام الغابرة ومعابدهم _ يتوصلون إلى مستوى ثقافتهم وحضارتهم ونوعية عقائدهم، في حين إذا أنكرنا علاقة النظام والعلم انهارت هذه الاستنباطات كلها.[818]

وبعبارة أخرى إن هذا الدليل يبطل أقاويل الملحدين: أن كل ما حدث في الكون قد حدث بالمصادفة وبدون قصد.[819]

وبعد بيان الشيرازي للعلاقة بين النظام والعلم واثبات الأسس التي يبتني عليها برهان النظم . الصغرى والكبرى . تطرق إلى مصاديق[820] هذا البرهان في عالم الوجود التي اعتمد عليها القرآن الكريم[821]، فقد اتسع الشيرازي في بيان ذلك في تفسيره إلا إن الباحث يقتصر في ذلك على ذكر بعض الآيات مبيّنا مصاديقها بذكر أشهر أقوال العلماء ومنهم الشيرازي، لتجنب الإطالة، هي ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَاب"﴾.[822]
- وقوله تعالى: ﴿"إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِين"﴾.[823]
- وقوله تعالى: ﴿"لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون"﴾.[824]

تخاطب هذه الآيات القرآنية العقول من خلال التمعن في خلق السماوات والأرض وما بينهما، إذ النظام العجيب والدقة المتناهية التي لابد أن تكون من فعل فاعل عالم قادر مريد، ولا مجال للصدفة في هذا النظام عما يدعي بعض أصحاب العقول المتحجرة

---

(818) يُنظر: نفحات القرآن، 2/(42-43).

(819) يُنظر: السيد صالح، سعد الدين ، "العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث"، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1411هـ-1991م، 146/1 ؛ الإلهيات (للسبحاني)، ص37.

(820) المصداق: الفرد الذي يتحقّق فيه معنى كلّي. يُنظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون، "المعجم الوسيط"، دار الدعوة، القاهرة، ط1، 1400هـ، مادة (صدق)، 511/1.

(821) قال الشيرازي: إن آيات القرآن لا تتحدث مطلقا عن علاقة النظام والعلم _المقدمة الكبرى_ لأنها واضحة ووجدانية ومنطقية _كما ثبت أنفا _ فإنكار هذه العلاقة هي إنكار للكثير من الحقائق الموجودة في حياتنا. يُنظر: نفحات القرآن، 44/2.

(822) سورة آل عمران/ آية 190.

(823) سورة الجاثية/ آية 3.

(824) سورة غافر/ آية 57.

والغارقة في الإلحاد والتكبر، قال تعالى: ﴿"سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً"﴾[825]، في حين تجد أصحاب العقول المتنورة تثبت أن لهذا النظام منظماً وهو الله سبحانه وتعالى.[826]

**وجود الله _ المنظم _ في العقول المتنورة:**

- قال الدكتور جون وليان كلوتس[827]: "إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة. إنه مليء بالروائع والأمور التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله و من إيماننا بوجوده".[828]
- وقال كريسي موريسون الفلكي الشهير مؤلف كتاب(العلم يدعو للإيمان): "إنّ جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن يوجد على كوكب واحد في وقت واحد بمحض المصادفة"[829]، وقال في موضع آخر من الكتاب نفسه: "إنّ للحياة فوق أرضنا هذه شروطاً جوهرية عديدة إذ يصبح من المحال حسابياً أن تتوافر كلّها بالروابط الواجبة بمجرد المصادفة على أي أرض في أي وقت".[830]

ثم يضرب العالم كريسي موريسون مثلاً لذلك بالغازات التي نستنشقها ونتنفسها قائلاً: "إنّ الأوكسجين والهيدروجين وثاني أوكسيد الكاربون والكاربون سواء أكانت منعزلة أم على علاقاتها المختلفة _ بعضها مع بعض _ هي العناصر البيولوجية الرئيسة وهي عين الأساس الذي تقوم عليه الحياة. غير أنّه لا توجد مصادفة من بين عدة ملايين، تقضي بأن تكون كلها في وقت واحد وفي كوكب سيار واحد، بتلك النسب الصحيحة اللازمة للحياة! وليس لدى العلم إيضاح لهذه الحقائق، أمّا القول بأنّ ذلك نتيجة المصادفة فهو قول يتحدّى العلوم الرياضية".[831]

- وقال الدكتور (سيسل هامان)[832]: "أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم، رأيت الأدلة على التصميم والإبداع، على القانون والنظام، على وجود الخالق الأعلى".[833]

---

(825) سورة الأعراف/ من الآية 146.

(826) يُنظر: نفحات القرآن، 2/(126-130) ؛ العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، 1/(49-50).

(827) "عالم في الوراثة، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة بتسبرج، أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة 1945م، عضو جمعية الدراسات الوراثية، متخصص في الوراثة وعلم البيئة". الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم، بيروت، ص52.

(828) المصدر نفسه، ص52.

(829) موريسون، كريسي، "العلم يدعو للإيمان"، ترجمة: محمود الفلكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1965م، ص195.

(830) المصدر نفسه، ص24.

(831) العلم يدعو للإيمان، ص73.

(832) عالم بيولوجي حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة بوردو . أستاذ في جامعة كنتاكي وجامعة سانت لويز سابقا . أخصائي في تقسيم الطفيليات الحيوانية. يُنظر: الله يتجلى في عصر العلم، ص145.

(833) الميداني، عبد الرحمن حسن، "براهين وأدلة إيمانية"، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بدون تاريخ، ص202.

- وقال الدكتور (جون كليفلاند كوثران)[834]: "إذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه، أو يحدد القوانين التي يخضع لها؛ فلا بد من أن الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي، وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخالق لا بد من أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة".[835]
- وقال الشيرازي: من المعروف أنّه كلما تعاظمت الموجودات فلابدّ من أنْ تتضاءل دقة القوانين السائدة فيه، بينما لا يصدقُ هذا المعنى على هذا العالم الشاسع أبداً، أي أنّه مع عظمته وسعته العجيبة وإثارته للجدل، فهو ذو أنظمة دقيقة وظريفة، ومن أجل إدراك هذه الحقيقة يكفينا الالتفات إلى المسائل الآتية:

أ- نحن نعلم أنّ الإنسان قد أفلحَ في نهاية المطاف أنْ يُنزلَ سفينة الفضاء...في كوكب القمر، ثم عادا إلى الأرض (تأمل جيداً) فعلى مدى الأيّام التي قضتها السفينةُ في قطع المسافة بين الأرض والقمر، كانت الأرض تدور حول نفسها وتغيرُ مكانها في السماء حول الشمس، وكوكبُ القمر كان يدور حول نفسه وحول الأرض أيضاً، فكم يجب أن تكون هذه الحركات مُنظمةً ودقيقةً ومحبوكة وثابتة إذ يستطيع العلماء أن يحسبوا حسابَ هذه الحركات ويقدّروها من خلال العقول الالكترونية حتى تحط سفينةُ الفضاء في المكان الذي حددوه على سطح كوكب القمر، ومِنْ ثَمَّ المكان الذي عيّنوهُ لعودتها إلى كوكب الأرض؟ فإذا اختلفت إحدى هذه الحركات وتداخلت فيما بينها ونقصت أو ازدادت مقدار ثانية واحدة، فمن المسَّلم به أنّ حسابات العلماء سترتبك ويكون عملهم غير ناجح...إنّ نظام عالم الوجود الدقيق هو الذي يمنح الإنسان فرصةَ القيام بمثل هذا العمل، أي الهبوط على سطح كوكب القمر وفي المكان الذي حددهُ.

ب- يستطيع علماء الفلك أن يحسبوا ويقدّروا أحداث المستقبل التي تتعلق بـ«الخسوف» و«الكسوف» في الكرة الأرضية قبل عشرات السنين، وعدد ساعات الليل والنهار وشروق الشمس وغروبها وبزوغ القمر وأفوله، وهذا يعود إلى التنظيم الدقيق لحركاتها ليس إلا.

ت- أنّ قوة الجاذبية تجذب الأجرام السماوية نحو بعضها، بيد أنَّ القوةَ الدافعة التي تحصل من حركة الدوران تسمى بالقوة الطاردة تُبعدها عن بعضها. فإذا أُريد أنْ تتحرك الكرة في مدارها ملايين السنين حركةً دقيقة وفي مدار معَّين فيجب أن تتوازن هاتان القوتان تماماً، وهذا ما نعرفه أيضاً إذ إنَّ الجاذبيةَ تتناسب طردياً مع حجم الموجودات، وعكسياً مع الجذر التربيعي للمسافة بينها (فلو ازداد الحجم فانَّ الجاذبية تتضاعف، وإذا تضاعفت المسافات تضعفُ الجاذبيةُ طبقاً للمعادلة أعلاه)، وبناءً على ذلك فمن أجل أن تدور الأرض حول الشمس مدة طويلة جداً في مدار ثابت، ينبغي أن يكون حجم الشمس والأرض وكذلك المسافة بينهم، وسرعة حركةِ الأرض حول الشمس على وفقَ حساب دقيق، كي يتم التوازن بينهم، وهذه المسائل ليست ممكنة دون تَدَخُل من عالم ذي علم غيرِ متناه وعقل مدبر.[836]

(834) عالم الكيمياء والرياضة، دكتوراه من جامعة كورنل، رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث. يُنظر: الله يتجلى في عصر العلم، ص27.

(835) براهين وأدلة إيمانية، ص94.

(836) يُنظر: نفحات القرآن، 2/(142-143).

## المبحث الثاني: برهان التغير والحركة

استدل المتكلمون بدليل الحدوث[837] _العالم[838]متغير وكل متغير حادث_ لإثبات وجود الله تعالى، وقد اخذ بهذا الدليل المتكلمون جميعهم وبخاصة الأشاعرة[839]، ومضمون هذا الدليل من حيث الجواهر[840] والأعراض[841]، كما ذكره ابن رشد[842].

ويتضح من خلال ثلاث مقدمات:

الأولى: أن الجواهر لا تنفك عن الأعراض أي لا تخلو منها.

والثانية: أن الأعراض حادثة.

والثالثة: أن ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث، أي ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وهذا الدليل خير شاهد على إن الخالق سبحانه وتعالى قديم[843]؛ وذلك باتصاف المخلوقات بالحدوث. [844]ومن زمن أرسطو طاليس[845] إلى زمن الفيلسوف ابن سينا[846]

(837) الحدوث "ما يجد و يحدث و ضد القديم"، أي كان معدوماً ثم صار موجوداً. المعجم الوسيط، 160/1. ويُنظر: الصدوق، أبو جعفر محمد علي بن الحسن(ت381هـ)، "التوحيد"، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين، قم، 1387هـ، ص303.

(838) "العالم" عبارة عما سوى الله تعالى. يُنظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(ت403هـ)، "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به"، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ - 1986م، ص43.

(839) يُنظر: عبد الحميد، عرفان، "دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية"، مطبعة اسعد، دار التربية، العراق، بغداد، بدون تاريخ، ص175.

(840) الجوهر: "ما قام بنفسه". المعجم الوسيط، مادة(جوهر)، 149/1.

(841) العرض: ما قام بغيره كالطعوم والروائح والألوان والحركات والسكون. يُنظر: الباقلاني، محمد بن الطيب(ت403هـ)، "تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل"، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م، ص38 ؛ المعجم الوسيط، مادة(عرض)، 594/2.

(842) هو الفيلسوف أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، له كتاب الكليات في الطب، وتهافت التهافت، وغيرهما كثير، توفي سنة (595هـ). يُنظر: فنديك، أدورد، "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع"، دار صادر، بيروت، 1896م، ص222.

(843) القديم(الأزلي) هو"ما لا أول له"، أي الموجود الذي لم يسبقه العدم. المعجم الوسيط 16/1. ويُنظر: التوحيد(للصدوق)، ص 303 ؛ التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر(ت791هـ)، "شرح المقاصد في علم الكلام"، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط1، 1401هـ -1981م، 231/1.

(844) يُنظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن رشد(ت595هـ)، "مناهج الأدلة في عقائد الملة"، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955م، ص135 ؛ الحلي، نجم الدين ابو القاسم جعفر(ت676هـ)، "المسلك في أصول الدين"، تحقيق: رضا الاستادي، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة، إيران، مشهد، ط1، 1414هـ: ص39.

(845) هو فيلسوف اغريقي اشتهر بالفلسفة، واهتم بالميتافيزيقيا والمنطق والسياسة، ولد في مدينة ستاغيرا شمال اليونان سنة (384) ق. م، وتوفي سنة(322) ق. م، تتلمذ على يد أفلاطون. يُنظر: صبحي، احمد محمد، "اتجاهات الفلسفة الإسلامية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987م، ص108.

(846) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، اشتهر بالطب والفلسفة، توفي سنة(428هـ). يُنظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ)، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ، 17/(531-533).

وحتى زمن صدر المتألّهين[847] كانوا يقولون إنَّ الحركة تقع في المقولات الأربع من مجموع تسع[848] (الكمّ _ والكيف _ والأين _ والوضع[849]) فقط، أمّا سائر المقولات والجوهر فلا تقع فيها حركة، بل هي ساكنة ثابتة لا حركة فيها.[850]

ولكنّ صدر المتألّهين ذهب إلى أنّ الحركة إنّما تكون أوّلاً للجوهر، وتبعاً لها تكون الحركة في الأعراض، ومن هنا سمّيت الحركة الجوهريّة، أي الحركة الواقعة في الجوهر قبل الحركة الواقعة في العرض.[851]

وذهب الشيرازي في تفسيره إلى الأخذ بقول صدر المتألهين _ إلى أنّ الحركة إنّما تكون أوّلاً للجوهر، وتبعاً لها تكون الحركة في الأعراض _ في إثبات وجود الله من خلال إثبات إن العالم في حال (صيرورة) دائمة لا (كينونة)، وليس ذلك في الأعراض فحسب بل هو متأصّل في أعماق ذاته، ولذا يكون محتاجاً إلى المبدأ باستمرار لكي يخلقه في كلّ آن.

وقد أشار الشيرازي إلى ذلك المعنى بقوله: "إنّ الحركة الجوهرية تقول بأنّ عالم المادّة بأسره عبارة عن حركة، أي أنّه في حالة حدوث وتجدّد متواصل، وله في كلّ آن وجود جديد، وهذا الحدوث المستمرّ يثبت الارتباط الدائم للعالم بمُبدئ غير حادث، أي أنّه يثبت الأزلية والأبدية لواجب الوجود".[852]

وقال الشيرازي أيضاً: "إنّ التغيّر والحركة حادثان، ولما كانت المادّة متعرّضة لهذه التغيّرات والتحوّلات دائماً فينبغي أن تكون حادثة أيضاً فمن غير الممكن أن تكون المادة أزلية وتتعرّض للحدوث والتغير منذ الأزل؛ لأنّ ذلك يستلزم اجتماع (الحدوث) و(الأزلية) وهما متضادّان كما نعلم".[853]

بيّن الشيرازي أنَّ هذا الاستدلال ومن خلال ملاحظة النظرية الفيزيائية الجديدة بشأن المادّة يَرِدُ على نحو أوضح، ما يأتي:

كل مادة تتركب من ذرات، والذرة عبارة عن مجموعة من الحركات.

كل حركة حادثة؛ لان كل حركة لها بداية ونهاية، وكل ما له بداية ونهاية لا يكون أزلياً.

النتيجة: المادة _التي هي عبارة عن مجموعة حركات (الالكترونات) و(البروتونات) _ حادثة وتحتاج إلى محدث أزلي.[854]

---

(847) هو الفيلسوف محمد بن ابراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي، ومن مؤلفاته أسرار الآيات، والإسفار الأربعة في الحكمة، وشرح أصول السكاكي وغير ذلك، توفي سنة (1050هـ). يُنظر: الأعلام، 303/5.

(848) المقولات العرضية التسع هي: الكم، الكيف، الوضع، المتى، الأين، أن يفعل، أن ينفعل، ملك، والإضافة. نفحات القرآن، 24/3. ويُنظر: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت756هـ)، "المواقف"، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، 1/(485-488).

(849) الحركة في (الكمية) نظير زيادة حجم النبات النامي، والحركة في (الكيفية) نظير التغيّر التدريجي في لون وطعم ورائحة الفاكهة في الشجرة، والحركة في (المكان)، نظير حركة قطرات المطر وحركة السيارة في الطريق، والحركة في (الوضع) نظير حركة الأرض حول نفسها. نفحات القرآن، 3/(24-25). ويُنظر: ابن سينا، الحسين بن عبد الله، (ت428هـ)، "المنطق"، تحقيق: محمد عثمان، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، 121/1.

(850) يُنظر: نفحات القرآن 3/(24-25).

(851) يُنظر: الشيرازي، صدر الدين محمد ، (ت١٠٥٠هـ)، "الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة"، داراحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ١٩٨١م، 3/(61-62) و 9/ 257.

(852) نفحات القرآن، 28/3.

(853) المصدر نفسه، 29/3.

(854) يُنظر: المصدر نفسه، 29/3.

وبعد بيان الشيرازي لحدوث العالم في تفسيره من خلال برهان التغير والحركة، استدل أيضاً على حدوث العالم من خلال إقرار العلم الحديث على بطلان أزلية المادة، استناداً إلى العديد من العلوم التي تقر ذلك، ومنها: قانون الحرارة الديناميكيا، وعلم الجيولوجيا، وعلم الفلك وغير ذلك.[855]

وبيان ذلك يتضح من خلال أقوال العلماء من أهل الاختصاص، هو ما يأتي:

**أولا: قانون الحرارة الديناميكيا يثبت بطلان أزلية المادة:**

- قال الدكتور (ادوارد لوثر كيل)[856]: "وقد يعتقد بعضهم أن هذا الكون هو خالق نفسه، على حين يرى بعضهم الآخر أن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد في وجود إله أزلي. ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، يثبت خطأ هذا الرأي الأخير [الرأي القائل بأزلية المادة والكون] فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، فهنالك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية، إذ تعود الحرارة، فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة. ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة الأجسام جميعها، وينضب فيها معين الطاقة. ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها في هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة، ولا تزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير في طريقها، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً، وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد، وتوقف أي نشاط في الوجود. وهكذا توصلت العلوم _ دون قصد _ إلى أن لهذا الكون بداية، وهي بذلك تثبت وجود الله، لأن ما له بداية، لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه، ولابدّ له من مبدئ أو محرك أول، أو من خالق، هو الإله".[857]
- وقال الدكتور (فرانك ألن)[858]: "قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً، وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه الأجسام جميعها تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة، وتستحيل الحياة. ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمعنى الوقت. أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذن حدث من الأحداث. ومعنى ذلك أنه لابد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولابد أن يكون هذا الكون من صنع يديه".[859]

**ثانيا: علم الجيولوجيا يبطل أزلية المادة:**

- قال الدكتور (دونالد روبرت كار)[860]: "تحديد عمر التكوينات الجيولوجية مثل مواد الشهب وغيرها؛ فقد أمكن باستعمال العلاقات الإشعاعية أن نحصل على صورة شبه كمية عن تاريخ الأرض. ويستعمل في الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الأرض بدرجات متفاوتة من الدقة، ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة إلى حد كبير، وهي تشير إلى أن الكون قد نشأ منذ نحو خمسة بلايين سنة، وعلى ذلك فان هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا. ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية. ويتفق هذا الرأي

---

(855) يُنظر: المصدر نفسه، 3/(30-31).

(856) "أخصائي في علم الحيوانات والحشرا ت، حاصل على دكتوراه من جامعة كاليفورنيا، أستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرانسيسكو، متخصص في دراسة أجنة الحشرات". الله يتجلى في عصر العلم، ص32.

(857) المصدر نفسه، ص33.

(858) عالم في الطبيعة البيولوجية، ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنل، استاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا من سنة 1904م إلى سنة 1944م . أخصائي في أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وإنتاج الهواء السائل. يُنظر: المصدر نفسه، ص11.

(859) المصدر نفسه، ص12.

(860) أستاذ الكيمياء الجيولوجية، حاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا، مساعد بحوث بجامعة كولومبيا، أستاذ مساعد بكلية شلتون، أخصائي في تقدير الأعمار الجيولوجية باستخدام الإشعاعات الطبيعية. المصدر نفسه، ص90.

مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية. أما الرأي الذي يقول بأن هذا الكون دوري، أي إنه ينكمش ثم يمتد، ثم يعود فينكمش من جديد...الخ فإنه رأي لم يقم على صحته دليل، ولا يمكن أن يعد رأياً علمياً، بل مجرد تخمين".[861]

- وقال الدكتور (جون كليفلاند كوثرن): "وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة. وعلى ذلك فان المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية، إذ أن لها بداية. وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على ان بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية، بل وجدت بشكل فجائي وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد. وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لابد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان".[862]

**ثالثا: علم الفلك يبطل أزلية المادة:**

- قال الدكتور (ايرفنج وليام)[863]: "فعلم الفلك مثلاً يشير إلى أن لهذا الكون بداية قديمة، وإن الكون يسير إلى نهاية محتومة، وليس مما يتفق مع العلم أن نعتقد إنّ هذا الكون أزلي ليس له بداية أو أبدي ليس له نهاية، فهو قائم على أساس التغير. وفي هذا الرأي يلتقي الدين بالعلم".[864]

## المبحث الثالث: برهان الوجوب والإمكانية (الغنى والفقر)

من البراهين المعروفة بين الفلاسفة[865] والمتكلمين لإثبات واجب الوجود برهان (الإمكان والوجوب)، من خلال تقسيم الوجود إلى واجب وممكن[866]، وهذا البرهان يثبت وجود الله سبحانه وتعالى بعنوان أنّه (واجب الوجود)[867]، أي أنّ وجوده ثابت بالضرورة العقلية التي يستحيل معها فرض عدمه، وإذا كان كذلك، فلا يكون محتاجاً إلى علّة توجده، وهذا بخلاف (الممكن الوجود)[868] وهو الذي يكون محتاجاً في وجوده إلى العلّة التي توجده. وقد بيّن الشيرازي ذلك بقوله: "الوجود يقسّم على قسمين: (ممكن) و(واجب)، فواجب الوجود يكون وجوده ذاتياً، وذاته المقدّسة غير محتاجة إطلاقاً، في حين لا يملك الممكن في ذاته شيئاً فهو محتاج. وبهذا يُعد احتياج الممكن إلى العلّة من القضايا البديهية والأوّلية والتي لا تحتاج إلى إقامة البرهان، ومن يتردّد في هذا الأمر فإنّ ذلك يعود إلى عدم

---

(861) المصدر نفسه، ص91.

(862) الله يتجلى في عصر العلم، ص31.

(863) هو أستاذ العلوم الطبيعية، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة أيووا، اخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة، أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيجان منذ سنة 1945م، اخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الخارجي. المصدر نفسه، ص57.

(864) المصدر نفسه، ص59.

(865) ويرجع برهان الإمكان والوجوب في أصوله الكبرى إلى ارسطو، إذ يعتمد أساسا على فكرة ثنائية الوجود: الممكن والواجب. يُنظر: طاليس، ارسطو، "ما بعد الطبيعة"، ترجمة: اسحاق بن حنين مع شرح ابن السمح وابن عدي وغيرهما، نشرها: بدوي، القاهرة، 1964م، ص575.

(866) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد ، (ت505هـ)، "معيار العلم في فن المنطق"، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م، ص85 ؛ الإبراهيمي، عبد الجواد، "نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية"، مؤسسة أنصاريان، قم، ط1، 1417هـ، ص37.

(867) واجب الوجود: هو الشيء الذي يكون موجوداً بذاته، ولا يفتقر في وجوده إلى غيره، ولا يتوقّف وجوده على وجود موجود آخر. يُنظر: المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت٤١٣هـ)، "النكت الإعتقادية"، دار المفيد، بيروت، ط2، 1414هـ-1993م، ص21 ؛ المواقف للإيجي، 327/1.

(868) ممكن الوجود: هو الشيء الذي يفتقر في وجوده إلى غيره ويجوز عليه العدم، والذي تكون نسبة كلّ من "الوجود" و"العدم" إليه متساوية، فهو قد يكون "موجوداً" وقد يكون "معدوماً"، ويلزمه الاحتياج في وجوده، وفي عدمه إلى الغير. يُنظر: النكت الإعتقادية، ص21 ؛ المواقف للإيجي، 328/1.

الفهم الجيّد لمفهوم الممكن".[869]

ثم أن الشيرازي صاغ برهان الإمكان والوجوب في تفسيره من خلال بيانه لبرهان العلة[870] والمعلول[871] الذي يعد ذا أصول مشتركة مع برهان الإمكان والوجوب[872] فإنهما (الإمكان والوجوب _ العلة والمعلول) مبنيان على المقدمتين الآتيتين:

المقدمة الأولى: أنّ العالم الذي نعيش فيه (حادث) و(ممكن الوجود).

المقدمة الثانية: كلّ موجود حادث وممكن الوجود يجب أن ينتهي إلى واجب الوجود، وبعبارة أُخرى يجب أن تنتهي الوجودات الإرتباطية إلى الوجود المستقل.[873]

فقد اثبت الشيرازي في تفسيره أن العالم حادث وممكن الوجود وقد بيّنا ذلك سابقاً وبذلك تم إثبات المقدمة الأولى.

أما إثبات المقدمة الثانية فقد بيّنها الشيرازي من خلال اربع فرضيات مع الإقرار بالمقدمة الأولى بقوله: مع الإقرار بأنّ العالم حادث فسنواجه اربع افتراضات لا خامس لها:

1. إمّا أن يوجد العالم دون علّة: وهي فرضية باطلة وهو ما يطلق عليه بـ(الصدفة)[874] لأنّ الحادث إن لم يحتج إلى علّة فإنّ كلّ موجود يجب أن يوجد في كلّ زمان وأي ظرف، في حين نرى بوضوح أنّ الأمر ليس كذلك، إذ يحتاج كلّ حادث لحدوثه إلى توفّر الشرائط والظروف.
2. أو(أن يكون هو علّة لوجوده) أو (أن يكون معلوله علّة له): وهذا يعد أمراً بديهياً باطلاً وهو ما يطلق عليه بـ(الدور)[875]، أي (أن يكون الشيء نفسه علّة لوجوده أو معلول الشيء علّة لوجوده)، لأنّ العلّة يجب أن تكون قبل المعلول ولو كان الشيء علّة لنفسه فلابدّ أن يكون موجوداً قبل وجوده ممّا يستلزم اجتماع (الوجود) و(العدم).
3. أو أن يكون العالم معلولاً لعلّة وهي معلولة لعلّة أُخرى وهكذا إلى ما لا نهاية: وهذا باطل أيضاً وهو ما يطلق عليه (بالتسلسل)[876]، أي استمرار سلسلة العلل والمعلولات إلى ما لا نهاية وهذا باطل عقلاً، لأنّ كلّ معلول يحتاج إلى علّة، ولو استمرت هذه السلسلة إلى ما لا نهاية ولم تنته بواجب الوجود فانّه يعني أنّ مجموعة من ذوات الحاجة غير محتاجة، في حين أنّ ما لا نهاية من الفقراء والمحتاجين محتاجون حتماً. فلو تراكمت ما لا نهاية من الظلمات لا تتحوّل إلى (نور)، وما لا نهاية من (الجهل)لا يكون (علماً)، وما لا نهاية من (الأصفار)لا يكون (رقماً).

إذن لابدّ من انتهاء سلسلة العلل والمعلولات إلى موجود مستقلّ وغني، وجوده من ذاته، وبعبارة أصحّ أن يكون عين الوجود

---

(869) نفحات القرآن، 3/(40-41).

(870) العلة: هي ما يؤثر في غيره. خلاصة علم الكلام، عبد الهادي الفضلي، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط2، 1414هـ-1993م، ص35.

(871) المعلول: هو "الأثر الحادث عن العلة". خلاصة علم الكلام، ص36.

(872) يرى الباحث الجمع بين البرهانين (الإمكان والوجوب . والعلة والمعلول) اللذين ذكرهما الشيرازي في تفسيره لأنهما ذو أصول مشتركة ؛ لتجنب التكرار وإيجاز الموضوع.

(873) يُنظر: نفحات القرآن، 54/3.

(874) الصدفة: وهو قول الملحدين: أن كل ما حدث في الكون قد حدث بالمصادفة وبدون قصد وقد بيّنا سابقاً بطلان هذا القول. يُنظر: المطلب الأول من المبحث نفسه، ص54.

(875) الدور: عبارة عن توقّف كلّ واحد من الشيئين على صاحبه. بمعنى إن وجود الشيء باعتباره معلولاً يتوقف عليه نفسه باعتباره علة، فيصير وجود الشيء علة لنفسه ومعلولاً لنفسه في آن واحد. يُنظر: النكت إلاعتقادية، ص(20-21) ؛ خلاصة علم الكلام، ص31.

(876) التسلسل: ويعني إن لكلّ معلول علّة، ولهذه العلّة علّة أخرى، وهكذا يستمر الأمر إلى ما لا نهاية من العلل المفتقرة في وجودها إلى العلل الأخرى، بمعنى إن يستند الشيء الممكن إلى علة، وتلك العلة تستند إلى علة، وهلم جرا إلى لا نهاية. يُنظر: النكت إلاعتقادية، ص21 ؛ خلاصة علم الكلام، ص33.

والوجود المطلق.

4. أن نقرّ بأنّ كلّ هذه الموجودات الحادثة مستندة إلى موجود أزلي أبدي فوق المادّة، وهذه السلسلة من العلل والمعلولات تنتهي أخيراً إلى (واجب الوجود).

وممّا ذكر نستنتج أنّ وجود الممكنات والحوادث في العالم لابدّ أن ينتهي بوجود واجب أزلي نسمّيه (الله) سبحانه وتعالى.[877]

أو بتعبير أخر: إنّ العالم بحاجة إلى موجِد واجب الوجود، أي: موجد غير محتاج في وجوده إلى علّة أخرى، ولا يتوقّف وجوده على وجود غيره.

وبعد بيان الشيرازي لبرهان الإمكان والوجوب وإثباته لوجود الله سبحانه وتعالى بعنوان: (واجب الوجود)، تطرق إلى مصاديق هذا البرهان . الإمكان والوجوب . التي اعتمد عليها القرآن الكريم، ولكن الشيرازي اتسع في ذلك من خلال فصل برهان الإمكان والوجوب عن العلة والمعلول، الذي بيّنا سابقا أنهما ذاتا أصول مشتركة وقمنا ببيانهما تحت عنوان الإمكان والوجوب، وعلى ذلك أقوم بعرض الأدلة القرآنية الأكثر دلالة التي استدل بها الشيرازي لبيان هذين البرهانين في تفسيره على نحو مشترك لتجنب الإطالة، هي ما يأتي:

أولاً: بيّنا سابقاً رأي الشيرازي إنّ برهان الإمكان قائم على هذه الحقيقة: بأنّ ما في الوجود ينقسم على قسمين:

1. واجب الوجود، وهو الموجود الغني بذاته.
2. ممكن الوجود، وهو الموجود الفقير بذاته.

فقد بيّن الشيرازي أن الباري عز وجل أشار إلى غناه وحاجة الإنسان إليه:

- بقوله تعالى: ﴿"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد"﴾[878]، قال الشيرازي: تخاطب هذه الآية الناس جميعاً وبدون استثناء، "فإنّ (للفقر) هنا له معان واسعة وتشمل كلّ احتياج لأي شيء في الوجود، ومن أجل مواصلة حياتنا الماديّة فانّنا بحاجة إلى ضوء الشمس، والماء، والهواء، والغذاء والملبس والمسكن. ومن أجل بقاء الحياة في أجسامنا نحن بحاجة إلى الأجهزة الداخلية من قلب وعروق وجهاز للتنفّس والمخ والأعصاب. ونحتاج في الحياة المعنوية _ من أجل أن نميّز الطريق السليم عن غيره ونعرف الحقّ من الباطل _ إلى قوّة عاقلة، وأرقى من ذلك نحن بحاجة إلى القادة الإلهيين والكتب السماوية. وبما أنّ منشأ هذه الأُمور يعود كله إلى الله لذا فانّنا بحاجة إليه في وجودنا كلّه"[879]، أما التعبير بـ(إنّ الله غني حميد) وأمثاله جاء في عشر آيات قرآنية[880]، وهذه الآية﴿"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد"﴾، أنّها وصفت الله تعالى بالغنى ورد هذا الوصف في آيات أكثر عدداً، وهذا التأكيد والتكرار القرآني في هذا الصدد يحكي أهميّة المضمون في هذا التعبير.[881]
- وقوله تعالى: ﴿"وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء"﴾[882] قال الشيرازي: تحدثت هذه الآية "عن (الإنفاق في سبيل الله) وبخل البعض في الإنفاق في سبيل الله وانعكاس بخل البخلاء على أنفسهم، لأنّهم محرومون من فيض الله ورحمته اللامحدودة، فتقول: ﴿"وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء"﴾ قد يكون هذا التعبير من أجل رفع التصوّر بأنَّ الله تعالى عندما يدعو الناس إلى الإنفاق في سبيل الله فانّه محتاج إلى إنفاقهم، أو أن هذه الجملة تتنافى مع الجملة التي وردت في آيات سابقة إذ تقول: ﴿"وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم"﴾[883] أي إنّ الله

(877) يُنظر: نفحات القرآن، 3/(54-55).

(878) سورة فاطر/آية 15.

(879) نفحات القرآن، 3/(36.35). ويُنظر: تفسير الأمثل، 11/(44 . 45).

(880) راجع: البقرة: 267 ؛ النساء: 131 ؛ إبراهيم: 8 ؛ الحجّ: 64 ؛ لقمان: (12) و (26) ؛ الحديد:24 ؛ الممتحنة: 6 ؛ التغابن: 6.

(881) يُنظر: نفحات القرآن، 33/3.

(882) سورة محمد/من الآية 38.

(883) سورة محمد/من الآية 36.

غني على الإطلاق ومحتاجون إليه جميعاً، فعندما يأمرهم بالإنفاق فليس ذلك لحاجته، بل لأنّهم هم المحتاجون، ويصلون إلى الكمال عن هذه الطرق ويتقرّبون إلى ذلك الوجود اللامحدود.(884)

ثانياً: بيّنا أيضاً رأي الشيرازي بأن برهان الإمكان يفيد أنَّ ممكن الوجود لا يتحقق بلا علة، ولا يكون هو العلة لنفسه لبطلان الدور، وإن الباري عز وجل أشار إلى هذه الحقيقة في:

- قوله تعالى: ﴿"أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون"﴾(885) قال الشيرازي: بيّنت هذه الآية "إنّ كلّ إنسان لا شكّ في أنّه مخلوق وحادث ولا يخرج من ثلاث حالات: امّا مخلوق من دون علّة أو هو علّة وجوده أو أنّ علّته هو الوجود الأزلي والأبدي وهو الله سبحانه. ولما كان الاحتمالان الأول والثاني لا يتوافقان مع العقل والوجدان فالاحتمال الثالث هو الثابت حتماً، ولذا ذكر الإحتمالين الأول والثاني بصيغة «الإستفهام الإستنكاري»، وحينما ينفيهما العقل والوجدان، يثبت الاحتمال الثالث لا محالة. هذا جوهر الاستدلال الشهير بـ (العلّة والمعلول) إذ يعرض في جملتين قصيرتين ومركّزتين ذات معنى واسع...، ولا يستبعد أن يكون هناك احتمال رابع وهو أن يكون الإنسان معلولا لعلّة أخرى وهذه العلّة معلولة لعلّة أخرى، وهكذا تستمرّ هذه السلسلة إلى ما لا نهاية. فإنّ هذا الاحتمال واضح البطلان أيضاً، لاستحالة (تسلسل العلل والمعلولات) منطقاً ووجداناً، وهذا الاحتمال يبرز لدى الفلاسفة عادةً وليس بعامة الناس، ولعلّ الآية لم تذكره لهذا السبب"(886)، أي إن قوله تعالى: ﴿"أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون"﴾ يحمل في طياته خطاب للفلاسفة بمسألة العلة والمعلول _ التسلسل _ ووضوح بطلانها لديهم.

ولكن ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية ترتبط أساساً بالهدف من الخلق وقالوا: أنّ المراد هو أنّ البشر لم يخلقوا دون تكليف وأمر ونهي وثواب وعقاب، ويعدون هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا"﴾(887).(888)

ورد الشيرازي على ذلك بقوله: "بملاحظة ذيل الآية يضمحل هذا الاحتمال تماماً؛ لأنّه تعالى يقول: ﴿"أَمْ هُمُ الْخَالِقُون"﴾، وهذا التعبير يدلّ على أنّ الجملة الأولى ناظرة إلى سبب الخلقة وعلّة ظهور الإنسان لا الغاية من خلقه، وبعبارة أخرى أنّ الآية تلاحظ العلّة الفاعلية لا الغائية".(889)

## الخاتمة:

بعد هذا الجهد المتواضع أذهب إلى أهم ما تضمنه البحث:

يعد برهان النظم أوضح البراهين وأقربها إلى الحس والتجربة، فهو يتجاوب مع العقول جميعها على اختلاف سطوح تفكيره، إذ إن هذا البرهان يبطل دعوة الملحدين وقولهم: أن كل ما حدث في الكون قد حدث بالمصادفة وبدون قصد.

اعتمد الشيرازي بقول صدر المتألهين _ إلى أنّ الحركة إنّما تكون أوّلاً للجوهر، وتبعاً لها تكون الحركة في الأعراض _ في إثبات وجود الله من خلال إثبات إن العالم في حال (صيرورة) دائمة لا (كينونة)، وليس ذلك في الأعراض فحسب بل هو متأصّل في أعماق ذاته، ولذا يكون محتاجاً إلى المبدأ باستمرار لكي يخلقه في كلّ آن.

---

(884) نفحات القرآن، 38/3. ويُنظر: تفسير الأمثل، 12/(660.661).

(885) سورة الطور/ آية 35.

(886) نفحات القرآن، 47/3. ويُنظر: تفسير الأمثل، 13/(286-287).

(887) سورة المؤمنون / من الآية 115.

(888) منهم من ذكر هذا المعنى بوصفه معنى رئيسياً في الآية أو بوصفه احتمالاً. يُنظر: تفسير الواحدي، 1036/2 ؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(ت 548هـ)، "مجمع البيان في تفسير القرآن"، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415هـ- 1995م، 28/9 ؛ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر(ت606هـ)، "التفسير الكبير" ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م، 224/28 ؛ تفسير القرطبي، 74/17 ؛ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين(ت1270هـ)، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، 37/27 ؛ الطباطبائي، محمد حسين(ت1402هـ)، "الميزان في تفسير القران"، مؤسسة اسماعيليان، (تصوير على الطبعة البيروتية الثالثة، 1974م)، 20/19 وآخرون غيرهم.

(889) نفحات القرآن، 48/3.

استدل الشيرازي على حدوث العالم من خلال إقرار العلم الحديث على بطلان أزلية المادة، استناداً إلى العديد من العلوم التي تقر ذلك، ومنها: قانون الحرارة الديناميكيا، وعلم الجيولوجيا، وعلم الفلك.

إنّ العالم بحاجة إلى موجِد واجب الوجود، أي: موجد غير محتاج في وجوده إلى علّة أخرى، ولا يتوقّف وجوده على وجود غيره.

## قائمة المصادر:


بعد القرآن الكريم:

1.الإبراهيمي، عبد الجواد، "نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية"، مؤسسة أنصاريان، قم، ط1، 1417هـ.

2.ابن سينا، الحسين بن عبد الله، (ت428هـ)، "المنطق"، تحقيق: محمد عثمان، القاهرة، مصر، ط1، 2008م.

3.الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين(ت1270هـ)، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

4.الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت756هـ)، "المواقف"، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م.

5.الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(ت403هـ)، "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به"، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ - 1986م.

6.الباقلاني، محمد بن الطيب(ت403هـ)، "تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل"، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م.

7.التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر(ت791هـ)، "شرح المقاصد في علم الكلام"، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط1، 1401هـ -1981م.

8.التميمي، هناء هاشم، "المسائل العقائدية في سورة هود في تفسير الامثل واهميتها التربوية"، رسالة ماجستير،(غير منشورة)، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، 2012م.

9.الحلي، نجم الدين ابو القاسم جعفر(ت676هـ)، "المسلك في أصول الدين"، تحقيق: رضا الاستادي، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة، إيران، مشهد، ط1، 1414هـ.

10.الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ)، "سير أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ.

11.الرازي، فخر الدين محمد بن عمر(ت606هـ)، "التفسير الكبير"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.

12.الربيعي، فاطمة حسين، "المثل الاخلاقي في تفسير نفحات القرآن، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي(دراسة موضوعية)"، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية، 2012م.

13.السبحاني، جعفر، "الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل"، الدار الإسلامية، ط1، 1410هـ-1989م.

14.السيد صالح، سعد الدين، "العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث"، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1411هـ-1991م.

15.الشيرازي، صدر الدين محمد، (ت١٠٥٠هـ)، "الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة"، داراحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ١٩٨١م.

16.الشيرازي، ناصر مكارم، "نفحات القران"، دار جواد الأئمة (عليه السلام) للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1431هـ.

17.صبحي، احمد محمد، "اتجاهات الفلسفة الإسلامية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987م.

18.الصدوق، أبو جعفر محمد علي بن الحسن(ت381هـ)، "التوحيد"، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين، قم، 1387هـ.
19.طاليس، ارسطو، "ما بعد الطبيعة"، ترجمة: اسحاق بن حنين مع شرح ابن السمح وابن عدي وغيرهما، نشرها: بدوي، القاهرة، 1964م.
20.الطباطبائي، محمد حسين(ت1402هـ)، "الميزان في تفسير القران"، مؤسسة اسماعيليان، (تصوير على الطبعة البيروتية الثالثة، 1974م).
21.الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(ت 548هـ)، "مجمع البيان في تفسير القرآن"، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415هـ- 1995م.
22.عبد الحميد، عرفان، "دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية"، مطبعة اسعد، دار التربية، العراق، بغداد، بدون تاريخ.
23.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت505هـ)، "معيار العلم في فن المنطق"، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961.
24.فنديك، أدورد، "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع"، دار صادر، بيروت، 1896م.
25.القدسي، أحمد، "السيرة المباركة لسماحة آية الله العظمى مكارم الشيرازي"،مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم، ط1، 1424هـ.
26.القرطبي، محمد بن أحمد بن رشد(ت595هـ)، "مناهج الأدلة في عقائد الملة"، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955م.
27.مصطفى، إبراهيم وآخرون، "المعجم الوسيط"، دار الدعوة، القاهرة، ط1، 1400هـ.
28.المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت٤١٣هـ)، "النكت الإعتقادية"، دار المفيد، بيروت، ط2، 1414هـ-1993م.
29.موريسون، كريسي، "العلم يدعو للإيمان"، ترجمة: محمود الفلكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1965م.
30.الميداني، عبد الرحمن حسن، "براهين وأدلة إيمانية"، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بدون تاريخ.